رواية

شيطان على الخشبة

"لم أفعل شيئًا... أنتم من كتب النص."

عبد الرحمان علواني

(روايـــــــة)

شـيـطـان
عـلـى الـخـشـبـة

تأليف :

عبد الرحمان علواني

الكتـــــــــــــــــــــاب : شيطان على الخشبة

تأليـــــــــــــــــــــف : عبد الرحمان علواني

تدقيـــــــــــــــــــــق : عبد الرحمان علواني

النوعيـــــــــــــــــــــة : روايـــــــــــــــة

صدر سنـــــــــــــــــــــة : 2025م

التنسيـــــــق و التصميـــــــم : عبد الرحمان علواني

abdourrahmenalouani95@gmail.com

alouanibooks@gmail.com

كل الحقوق محفوظة لدى

المؤلف

بسم الله الرحمان الرحيم

"لم أفعل شيئًا... أنتم من كتب النص"

مقدمة الكتاب:

في هذا العالم الذي يتخبط بين الأكاذيب والتصنع، حيث يمتزج الظلام بالنور، ويتنكر البشر في ثياب الفضيلة، هناك حقيقة واحدة تظل غائبة عنهم: الحقيقة الوحيدة التي لا يستطيعون الهروب منها هي أنهم ليسوا إلا دمى في يد قوى لا يرونها، ولا يفهمونها.

"شيطان على الخشبة " ليس مجرد رواية، بل هو رحلة إلى أعماق الروح البشرية المظلمة. تفتح هذه الرواية أمام القارئ نافذة ليرى كيف يمكن للبشر أن يصبحوا أسرى للوهم، محاصرين في رقعة تتلاعب بهم الحيلة والمكر، بينما تظل السلطة والقوة محركاتهم الأساسية.

نرى في هذه الصفحات مسرحية ليس فقط من منظور التسلية والترفيه، بل من خلال نافذة معتمة تكشف عن قلوب خالية من الإنسانية، وعقول ملوثة بالغرور، وأرواح محطمة تحت وطأة الأكاذيب المقررة.

شخصيات الرواية لا تسعى إلى الخلاص، بل إلى الفوضى التي تنتظرهم، إلى تلك اللحظة التي لا يجدون فيها غير أنفسهم محاصرين في الزمان والمكان.

وفي وسط هذا الصراع الدموي بين الطيّب والشرير، نجد الشيطان هو الراوي الذي يطلق سراح الحقيقة القاتلة. هل سيبقى البشر في مواقفهم الجبانة، أم أنهم سيتقبلون الحقيقة العارية؟ هل الحب لا يزال قادرًا على النجاة، أم أن الأرض أصبحت مليئة بالخراب؟

مرحبًا بك في عالم لا مكان فيه للهروب. عالم تتلاقى فيه الحقيقة المطلقة مع الأجوبة المظلمة. حيث الكذب هو المحبوب ، والدم هو الحقيقة، والشيطان هو المخرج.

الفصل الأول:

دعوة إلى الجنون

في حدث لم يعهد التاريخ له مثيلاً ، أعلنت وسائل الإعلام عن أكبر مجمع في تاريخ البشرية. لم يكن الحديث عن حرب أو ثورة أو اكتشاف علمي، بل كان عن مسرحية فريدة .فريدة في عروضها ، في عدد مشاهدها، وحتى في الفكرة التي قامت عليها. لم يكن هذا مجرد عرض فني، بل كان العرض الذي سيغير كل شيء.

حديث العالم كان واحدًا:

"المسرحية التي ستكشف عيوب البشرية وتفتح بابًا لعالمٍ جديد أفضل ."

من العاصمة إلى أطراف العالم النائي، تجمع الناس، شيوخًا وشبابًا، أثرياء وفقراء، لتكون تلك اللحظة الفاصلة في تاريخهم.

الكل يسعى للوصول إلى ذلك المسرح الذي تلهج بذكره الألسن، المسرح الذي أصبح قبلة البشر كافة .

في شوارع روما ، كان العشاق يتسللون في الأزقة الضيقة، بينما كان السياسيون يخططون لإيصال أنفسهم إلى هناك في طائرات خاصة. في الهند، باع الفقراء كل ما يملكون ليتمكنوا من اقتناء تذكرة ولو كانت فقط لدقيقة واحدة من العرض.

حتى في بلاد القطب الشمالي، كانت الحشود تحتشد في صمتٍ غريب، وهم يحملون نظرات لا تعرف سوى الأمل والتوقع. كل شخص كان يظن أن هذا العرض سيكون حلمه الذي لا يستطيع الاستيقاظ منه.

لم تكن المسرحية مجرد عرض ثقافي، بل كانت أملًا مضاعفًا؛ الأمل في إيجاد شيء أعظم، شيء يجعل العالم يتناغم في مكان واحد، والناس يتقاطعون في نقطة واحدة.

وفي أحد البيوت في نيوزيلندا، كانت عائلة فقيرة تتنقل بين القنوات الفضائية، بحثًا عن فرص للمشاركة في هذا الحدث. الأم مريضة، محجوزة في سريرها عبر جهازٍ معقد كان قد جلبه أحدهم في وقتٍ متأخر، وحين اقتنع الابن أن هذا هو الوقت المناسب للحديث عن المسرحية، أخبرها أن كل

شيء قد تغير الآن. فكر في لحظة، ولم يجد سوى بيع هذا الجهاز الطبي الذي كان يعين أمه على التنفس كي يتمكن من شراء تذكرة حضور. لقد أراد أن يكون هناك، لا بد له من أن يكون هناك و لو عنى ذلك وفاة أمه، المهم أن يكون من أولئك اللذين ستمسهم بركات العرض الأعظم .

وفي لندن، كان رجل الأعمال الشهير يخطط لدعوة كبار الشخصيات إلى القاعة الذهبية في أقرب قاعة للمسرح ليتناقشوا أمر الذهاب إلى العرض. كان هذا العرض بالنسبة له أكثر من مجرد حفلة، كان بمثابة إعلان عن بداية حقبة جديدة. كانت لا تزال الأنوار تومض من حوله، لكنه لم يتوقف عن التفكير في أن يكون جزءًا من هذا الحدث المميز.
"أنا جزء من هذا العالم، إذًا سأحضر"، كان يرددها لنفسه طوال الوقت.

كانت باريس تبتسم في تلك الليلة، كما لو أنها على موعد مع الخلود. وفي ميدان صغير، تودع فتاة شابة والدها قبل أن تركب القطار نحو المسرحية التي "ستغير العالم"، كما كتب النقاد، وكما صدّق العشاق والمجانين والمثقفون.

في مانيلا، باع فتى حذاءه الوحيد ليشتري بطاقة عرضٍ لا يعلم عنه سوى اسمه: "نور أخير".

في الريو، قبّل عجوزان بعضهما تحت المطر بعد أن وصلا أخيرًا إلى المدينة الحلم، مستندين على بعضهما كأن المسرح سيمنحهما أعمارًا جديدة.

أما المسرح نفسه، فقد كان أشبه بحرم زمني: يتقاطر عليه الناس من كل زاوية في الأرض، وكلهم يظنون أنهم في طريقهم إلى نوع جديد من النشوة... إلى الوعد بالفهم، بالخلاص، بالحب...

ولم يعلم أحد،

أن الذي ينتظرهم ليس عرضًا، بل جلادًا يرتدي الجمال ، لم يكن أحدٌ في هذا العالم يدري، أن الحقيقة كانت أكثر وحشية مما يتخيلون، وأن العالم كان سينقلب رأسًا على عقب.

المسرح كان جاهزًا، والناس بدأوا يتوافدون من كل مكان.

في اللحظة التي بدأ فيها الحضور يتجمعون في ساحة المسرح الكبرى، كانت صرخات الاحتشاد تتناغم في أنحاء المدينة. الكل متحفز لرؤية النجوم، السحرة الذين سيخرجون على الخشبة ليجسدوا آمالهم، آلامهم، أفراحهم، وأحلامهم. الجميع يتحدث عن أن هذه المسرحية ستكون الأعظم في التاريخ و للتاريخ .

لقد حضروا من أجل المعجزة. لكن ماذا إن كانت المعجزة قد تحولت إلى لعنة؟

في الساعة التي اقتربت فيها الأنوار على المسرح، كان الحضور قد ملأوا كل زاوية. آمالهم، تطلعاتهم، كل شيء قد تركوه خلفهم ليحضروا. وكانت الأعين تتجه نحو الخشبة، نحو الغرف المظلمة حيث كان سيخرج أول بطل لهذه المسرحية.

لكن شيئًا غريبًا بدأ يحدث، فبدلًا من أن يظهر النجوم المعروفون، سمعوا صوتا فتيا عميقا

"انظر إلى ما تبقّى من الإنسان... لقد كان فيما مضى يتغنّى بالحكمة ويُفاخر بالأخلاق ويعبدُ الجمال، أمّا اليوم فقد بات يركض كجرو جائع خلف وهم اسمه "القبول". لم تعد الحقيقة تُهمّ، بل صار القبول الاجتماعي هو المعبود الجديد، يُضحّى من أجله بالعقل، ويُباع من أجله الضمير، وتُنسى من أجله حتى أسماء الأمهات.

لقد كفّ الناس عن التفكير منذ قرروا أن "الرديء" أسهل هضمًا. لا أحد يريد أن يُرهق نفسه في طرح الأسئلة، فالسؤال مخيف؛ يعرّي الجهل، ويهدّد الراحة. وهل هناك راحة أقدس من أن تعيش غبيًا وسعيدًا؟

لقد أصبح الغباء بطولة اجتماعية، والأحمق يلقى تصفيقًا لأنه يُضحك الحشود، لا لأنه يفهم شيئًا مما يقول.

في عالم تُتداول فيه الأكاذيب كعملة رسمية، يصبح قول الحقيقة جريمة فكرية. أما الفضيلة؟ فقد أصبحت نكتة. الأخلاق اليوم تُقاس بمنشور، بالشعارات الرخيصة، وبالظهور على الشاشة، لا بالفعل ولا بالتضحية. لقد حوّلوا القيم إلى هاشتاغات، والضمير إلى إعلان تجاري.

أعطني واحدًا فقط من هؤلاء يستطيع أن يواجه مرآته ساعة كاملة دون أن يشيح ببصره. إنهم يعرفون... يعرفون أنهم فقدوا ذواتهم، وأنهم اختاروا القطيع لا لأن القطيع على صواب، بل لأنه صاخب بما يكفي ليُسكِتَ صوت العقل.

ولهذا، فإن ما أفعله هنا ليس إلا تشريحًا لما أنتم عليه: كائنات هجينة، بقايا بشر، تضعون الماسك الأخلاقي صباحًا وتنزعونه عند منتصف الليل.
ما أبشع أن يتحوّل الإنسان إلى كائن يستحي من صدقه ويستريح لكذبه. "

بعد انتهاء الكلمات، ظهر شخصٌ آخر، شاب غريب في زي أسود بالكامل، محاط بسكون قاتل. فاجأ الجميع خاصة بعد هذه الفقرة التي ظن كل شخص في العالم أنه المقصود بها ، لم يكن من المتوقع أبدًا أن يكون هذا

الشاب هو نجم العرض. نظرات الحضور كانت مشوشة، وعقولهم لا تستطيع تصديق ما سمعته. كان هو، الذي سيبدأ هذا العرض الفظيع.

لم يتوقف الشاب عن الابتسام، ذلك الابتسام الغريب، كما لو كان يتنقل بين ظلال عالمين.

وقف على خشبة المسرح وقال ببساطة ، بنفس الصوت الفتي العميق :

"لقد جئتم جميعًا من أجل شيء لا وجود له. المسرحية التي حلمتم بها لن تُعرض."

أصوات الضحك المتوترة اجتاحت المكان، متسائلين إن كانت هذه مقدمة مبدعة، أم أن الشاب يختبر الجمهور بتقنيات جديدة غير متوقعة، كما يحدث دائمًا في العروض المسرحية التي تدمج الفن بالفلسفة.

لكن الشاب، بصوتٍ جلي، تابع حديثه:

"الذي أتيتم من أجله... ليس موجودًا. وأنا هنا لأعلمكم ماذا جنيتم و لإخباركم ما أنتم ؟ ."

بدأت بعض العيون تتسائل عن صدق هذا الشخص. هل هو حقًا جزء من العرض، أم أنه مجرد خلل في التقديم؟

نظر الجميع، وبدأت هناك حالة من الخوف تتسرب إلى الحضور. الجميع ضحك و انتظروه أن يضحك ، لكن حينما بدأ الشاب يتكلم، اكتشفوا أن لا مكان للضحك في هذا العالم.

"فلتضحكوا...

أعدكم، أنكم جميعًا ستبكون.

لا أحد سيموت الليلة، لكن أحدًا منكم... لن يخرج حيًّا.

الدماء ستسيل، ليس من يدي ولا بيدي ، بل من أيديكم و بأيديكم .

العالم سينتهي، ليس بانفجار... بل بتصفيق.

بعد هذا العرض...

سيقتل البعض أحبابهم.

ويقتل البعض أنفسهم.

وسينظر الباقون في المرآة... ولن يجدوا فيها شيئًا."

الفصل الثاني:

الشيطان على الخشبة

السكينة تحولت إلى ارتباك، والضحكات بدأت تنقلب إلى أنين مكبوت، حين تابع الشاب حديثه بصوت أكثر برودة مما تحتمله قلوبهم:

"لم آتِ لأسليكم، ولم آتِ لأسرد عرضًا دراميًا.

لم آتِ لأرقص، أو لأمثّل.

إنما أتيتُ... لإيلامكم أيها البشر."

صمتٌ شامل. ثم موجة خفيفة من الضحك العصبي. أحدهم قال: "يا له من أداء مدهش"، فيما تمتم آخر: "كم هو رائع في تمثيله!".

لكنهم، في أعماقهم، شعروا بأن هناك شيئًا لا يشبه أي عرض رأوه من قبل.

اقترب الشاب من طرف الخشبة، عيناه تلمعان كجمرتين في وجه جامد.

رفع إصبعه وأشار إلى سيدة في الصف الأول، ثم قال:

"أنتِ... التي هجرتِ طفلتكِ المريضة لتأتي إلى هنا.

كنتِ تعرفين أن الجفاف سيقتلها وحدها، لكنكِ قلتِ إنها 'لن تلاحظ'.

وها أنتِ، في مقعدكِ، تتأملين الحلم.

أي حلم؟

إنه كابوسكِ."

شهقت المرأة وتراجعت للخلف، لم تخبر أحدًا بهذه القصة قط. كيف عرف؟ من هو؟

ثم أشار إلى رجل بدين يرتدي بدلة فاخرة:

"وأنتَ، الوزير، الذي سنّ قانونًا يقتل فيه الفقراء ببطء، ثم قلتَ إنك 'تحمي المجتمع'.

حضرت المسرحية لأنك 'تحب الفن'، بينما قتلت موهبة آلاف الأطفال حين أغلقت مدارسهم بحجة 'التقشف'.

"ألا تعلم أن المسرحية تبدأ من داخلك، أيها الجبان؟"

وقف الوزير و صرخ بتوتر و ذعر

" من أنت ؟ "

"أنا ؟ لستُ ذاك الشيطان المملّ الذي ينتظره البشر في الأساطير، ذاك الذي يحمل قرنين وذيلًا ويحترق في جحيم رمزي. لا، لا... أنا فكرة. وأنا هنا، لأنكم صنعتموني بأنفسكم.

أنا تمرد الوعي على هوان الواقع. ولدتُ يوم وُلد فيكم سؤال لم تجرؤوا على النطق به. أنا لستُ إغواءً جسديًا، بل فضيحة فكرية.
لم أطلب يومًا أن أكون قديسا، فالقديسون لا يصنعون على يد المقهورين، بل أردتُ أن أكون مرآة... مرآة تُرغمكم على النظر في قباحتكم دون أن تسقطوا في طقوس التبرير والغفران السهل.

ماذا تريدون من الحياة أصلًا؟ أن تأكلوا، أن تتناسلوا، أن تحصدوا إعجابات تافهة؟ أن تُدفنوا ويبتسم الجميع لكم في جنازة مزيفة؟ لا. أنتم لا تحيون، أنتم تُستهلكون.

ولهذا قررت أن أخلع آخر ملامح الآدمية من وجهي. ارتديتُ السواد لا كرمز للشر، بل كفنٍ أشيّع فيه إنسانيتي السابقة. نعم، كنتُ يومًا بشريًا،

أحببت، صدّقت، بكيت... لكني اكتشفت أن المشاعر في هذا العالم لا تعني شيئًا إلا حين تُستخدم سلاحًا.

فقررت أن أصبح شيطانًا صادقًا، لأن كل من حولي كانوا بشرًا كاذبين. "

في الصفوف الخلفية، بدأ الناس يتهامسون، ينهضون، يحاولون المغادرة... لكن الأبواب كانت مغلقة.

"كما أخبرتكم سابقا...لن أقتلكم"

قالها الشاب، بابتسامة مائلة،

"لكني أعدكم: كل منكم سيقتل نفسه، أو من يحب ، هذه المسرحية... نهاية العالم."

ارتعد البعض. تجمد آخرون. سقط البعض على الأرض. صرخت امرأة. ضحك رجل كالمجنون.

كل شيء بدا كأنه ينفصل عن الواقع.

ثم بدأ العرض الحقيقي.

انطفأت الأنوار، وبقي الضوء مسلطًا عليه وحده، يهمس بصوت أجوف:

"كل هذا كان مكتوبًا.

كنتم تعرفون.

النص المسرحي كان متاحًا للجميع، في كل بيت، على كل جدار.

لكنه لم يكن ملونًا بما يكفي، ولم يكن يعرض أجسادًا عارية راقصة ولا مؤثرات سمعية،

فرفضتم قراءته.

فضلتم الموت على القراءة.

نعم، أنتم شعب يعبد العرض... ويكره الوعي."

ثم رفع كتابًا أسود، بلا عنوان، وقال:

"هذه المسرحية كُتبت هنا.

لكنها لن تُعرض.

لأنكم لا تستحقون النهاية.

بل تستحقون أن تعيشوا ما بين البداية والنهاية... إلى الأبد.

زمنٌ من الألم."

واصل رفع الكتاب الأسود عالياً، ثم نزل عن المنصة خطوةً واحدة، لا يزال يواجههم، كأنه قوة مطلقة في جسد صغير تنزل من رحم الكراهية:

"أتعلمون لماذا أنتم قطيع؟

لأنكم تنتظرون من يخبركم بما يجب أن تصدقوه،

من تحبون، من تكرهون، من هو البطل، ومن هو الشرير.

تتبعون من يصرخ أعلى، لا من يفكر أعمق. "

توقف لحظة، وتقدم حتى صار قريبًا من أولى الصفوف، نظر في أعينهم، ثم قال:

"هل تدرون لماذا؟

لأن القطيع يخاف من القرار.

يخاف أن يكون مسؤولًا عن خطوته.

القطيع يحتاج راعيًا... أو جلادًا.

ضحك فجأة، ضحكة طويلة مزجت العبث بالسخرية:

"وأنا؟ لست راعيًا. بل جلادكم المتأني."

عاد إلى منتصف الخشبة، ثم قال بصوت أجوف:

"قررت أن أؤمن بقانونٍ واحد.

قانون لا يعرف الرحمة، لا يعترف بالمبادئ، لا يهتم بالحق ولا الخير،

بل يعرف الغاية، فقط... "

ضج المسرح بهمهمات مرعوبة. بعضهم يعرف القانون ، بعضهم لا. لكنه واصل بلا شفقة:

"نعم...

الغاية تبرر الوسيلة.

ولو كانت الغاية حرقكم جميعًا، فإن الوسيلة ستكون أشد متعة."

اقترب من رجل يحتضن امرأة مرتجفة، وسأله بهدوء:

"أتحبها؟"

أومأ الرجل، مرتعدًا. فابتسم الشيطان وقال:

"ستقتلها. "

ليس الآن...

لكن بعد هذا العرض، حين تبدأ برؤية الحقيقة.

لأن الحب؟ مجرد خدعة كيميائية."

رفع صوته فجأة:

"الحب كذبة!

وما النساء إلا... أبرع الكاذبين."

زمّت امرأة شفتيها بغضب، فابتسم لها الشيطان وقال:

"نعم، تبكين كذِبًا.

وتُظهرن الوفاء، وتفكرن في خيانة.

أنتن تتقنّعن بالبراءة، وأنتم – أيها الرجال – تجهلون أنهن تهزأن بكم في كل لمسة.

أعظم مُمثلات الكون لسنّ في هوليود، بل في غرف النوم، وغرف العشاء، و... المسرح."

تقدمت فتاة صارخة نحوه:

"كفاك هراءً! هذا عرض أم جريمة؟!"

فنظر إليها مبتسمًا:

"هذه حقيقة. لكن الحقيقة ليست لطيفة.

الحقيقة عارية، قاسية، شيطانية."

ثم انحنى نحوها حتى لفحتها أنفسها

"أي مثلي. "

ثم عاد إلى وسط الخشبة:

"سأعيد بناء العالم، لكن لا على مبادئكم الهشة.

سأبنيه على القوة، والتلاعب، والسيطرة.

على الخداع، والخوف، والانتصار الدائم للغالب، لا الأصلح.

لن يكون فيه حب، ولا الأسرة، ولا الضمير.

سيكون فيه فكرٌ واحد، شيطانٌ واحد،

وساحةٌ واحدة... هذه الخشبة."

صمت الجميع. لم يُسمع سوى أنفاس مرتجفة ودموع صامتة.

ثم قال بصوت خافت:

"والآن... لنبدأ العرض الحقيقي."

بدأت المصابيح المعلقة في سقف المسرح تدور ببطء، تسلّط الضوء على وجوه الجمهور.

وجوه متباينة: شابة تمسك يد حبيبها، رجل أعمال متجهّم، طفل يراقب بانبهار...

لكن عيونهم بدأت تتغير، تذبل، كأن شرارة "الفهم" بدأت تحرقهم من الداخل.

الصورة الأولى:

همس الشاب لحبيبته المرتجفة:

لا تسمعي له... إنه كاذب.

لكنها لم ترد.

عينها اليمنى تدمع، اليسرى تنظر إليه بريبة.

تذكّرت الخيانة الصغيرة. الرسالة التي وجدتها منذ شهر ولم تجرؤ على مواجهته.

نظر إليها...

فجأة، رأى في وجهها كل نظرات الشك التي أخفتها لسنوات.

همس الشيطان لهما من على الخشبة:

"الكتمان في الحب حين يُسجن يتحوّل إلى مرآة مشروخة.

تكسرونها بأيديكم... ثم تنزفون أعوامًا."

الصورة الثانية:

رجل في الستين، جاء وحده. دفع كل مدخراته لحضور المسرحية.

قال لنفسه: سأرى شيئًا يُعيد لي معنى الحياة.

لكن الآن، كانت أصابعه ترتعش.

يتذكر زوجته التي دفنها بأقلّ تكلفة، فقط ليسافر.

سمع صوت الشيطان يخاطبه مباشرة:

"قتلت الحب لتلحق بالخديعة.

هل تستحق الحقيقة موتًا؟

لا... لكنك قتلتها على كل حال."

الصورة الثالثة:

الفتاة التي صرخت ، التي تحدّته، نعم. لكنها الآن تجلس في المقعد، تلتقط أنفاسها.

تشعر بأن "الحق" شيء هش. وأن "الخطأ" في داخله سحرٌ ما.

تتذكّر كيف كذبت على صديقتها، سرقت فرصتها، وظهرت كالنبيلة.

"أرأيتِ؟"

قال الشيطان موجّهًا نظره إليها:

" أنتن... تمثلن طيلة الوقت."

الصورة الرابعة:

وزير بين الحضور. جلس متخفيًا بقبعة ومعطف.

جاء ليفهم لماذا أصبح الشعب ناقمًا.

الآن، يشعر بأنه انكشف.

كلمات الشيطان تنزع منه سلطته، بل جلده.

"أنتم – أيها الساسة – مثل السحرة:

تخدعون الناس بالأوراق والكلمات...

لكن حين تحترق الورقة، لا يبقى سواكم: عراة، تافهون، جبناء."

الصورة الخامسة:

جلس شاب في الصف الأول، كان ملامحه قريبة بشكل مرعب من ملامح الشيطان فوق الخشبة.

لم ينتبه في البداية... تتكئ على كتفه حبيبته، جميلة، هادئة ،

لكن صوتًا داخليًا نبهه: هناك شيء لا يكتمل...

ثم قال الشيطان من على الخشبة، باسمه، بابتسامة سفلية:

"لا يمكنك أن تحبها كما ترغب.

هي ليست ملكًا لك.

لن تتوافقا أبدًا.

أنت رَجُلُها الرابع:

قريبُها... صديقها المفضل... شريكها في العمل...
ثم تأتي أنت ، مجرد تحفة وسيمة ."

أومأ الشاب برأسه بجمود...

كان يعلم ذلك.

لكنه يكذب على نفسه...

الحب سيء، حين يكون وهمًا بلطافة أنثوية.

الصورة السادسة:

طفل صغير جالس مع والده في الصف الثالث.

يضحك من مشاهد لا تُضحك...

يمسك والده الهاتف خلسة ليرى إشعارات عمله.

الطفل لا يعرف بعد الفرق بين التمثيل والحقيقة.

لكن الشيطان رآه... حدّق فيه طويلًا، ثم قال:

"أنتم تضحكون أطفالكم باكرًا...

تعلمونهم أن التصفيق أهم من الفهم...

فتكبر الضحكة...

وتضيع الحقيقة."

الأب لم يفهم، لكن الطفل توقف عن الضحك فجأة...

وكأن شيئًا داخله بدأ ينهار، بلا كلمات.

الصورة السابعة :

جلست على الكرسي كما لو كانت جزءًا من الديكور.

هندامها مرتب، ابتسامتها مدروسة، ظهرها مستقيم، وكل من حولها يراها "مثالية".

كانت تتوقع من العرض أن يعزز صورتها عن نفسها.

لكن الشيطان حدق فيها طويلاً... ثم قال:

"تضعين قناعًا من الهدوء...

وتربطين جرحك بالشَّرَف.

لكني أراك...

كل مساء تبكين على سرير مرتب.

تُقنعين نفسك أن الكمال وقاية...

بينما هو قيدٌ بارد... يجعل وحدتك أنيقة لا أكثر."

ارتبكت، مدت يدها لتعدل من فستانها...

لكن يدها ارتعشت.

لأنها شعرت، ولأول مرة، أن أحدًا رأى هشاشتها المخبأة خلف النظام.

الصورة الثامنة:

رجل يرتدي قبعة سوداء يجلس في آخر صف، يراقب العرض بعين قلقة.

يتابع الإضاءة، الحركات، النص... كأنّه يبحث عن نفسه فيها.

لكن شيئًا داخله يقول: المسرحية أفلتت من يده.

الشيطان، من وراء الركح، يحدّق به ويهمس:

ـ "أردتَ أن تكون سيد العرض...

لكنك الآن تُشاهد فكرتك تسخر منك.

حين تكبر الفكرة، لا ترفعك... بل تبتلعك.

وأنت... صرت أحد الدمى، رغم أنك كتبتَ النص."

ينظر المخرج في دفاتره...

لكن الكلمات فيها لم تعد تخصه،

النص استقلّ، وترك كاتبه خلفه.

الصورة التاسعة:

رجل في الأربعين، أنيق المظهر، يفوح منه عطر غالٍ...

لكن عينيه حمراوان.

يرى الشيطان وكأنه يعرفه منذ الطفولة.

فجأة يقول الشيطان له، بصوت منخفض يسمعه وحده:

"ألم تتعب من التجمّل؟

من الادّعاء أنك بخير؟

كل من في حياتك يراك قويًا،

وأنت تنام كل ليلة كأنك تموت."

ينهار الرجل بصمت...

لكن لا أحد يلاحظ.

المسرح مظلم... وكلٌّ في مشهده.

الصورة العاشرة:

خمسة شبان وفتيات يجلسون معًا، يضحكون، يلتقطون صورًا سيلفي، ينشرون قصصًا على هواتفهم:

"في مسرحية عظيمة!"

لا أحد فيهم يتابع العرض فعليًا.

الشيطان صمت قليلًا، ثم قال لهم جميعًا:

"أنتم لا تشاهدون...

أنتم توثّقون الفراغ...

وتبيعونه بألوان الفلاتر.

لكن سيأتي يوم...

تنظرون فيه إلى صوركم وتدركون:

لم تعيشوا أبدًا، فقط قمتم بتمثيل العيش."

ضحك أحدهم وقال: "ما أروع النص!"

ولم يعرف أنه هو المقصود.

الجمهور كلّه يتصدع

فجأة...

حدثت الصدمة الكبرى.

بدأت الكراسي تهتز.

لا بفعل زلزال، بل بفعل الداخل.

قلوب تنبض أسرع، صدور تختنق، دموع تنفجر.

الشيطان يراقبهم بصمت، كأنه أكمل ما عليه.

ثم قال:

"أشعر الآن بذبذبات الخوف...

هذا ليس مسرحًا.

هذه محكمة.

أنتم المتهمون.

وأنا، الشاهد، والجلاد، وربما... القاضي."

تقدّم خطوة، ثم قال:

"انتهى الجزء الأول من العرض.

الجزء الثاني؟

سيتولى فيه كل منكم جلد ذاته.

وسينتهي حين يُزهق أول عقل."

ثم استدار... وسار نحو الستار.

تبعته عين الجمهور...

لكن الستار لم يُغلق.

بل اشتعل.

بعد اختفاء الشيطان و انطفاء الستارة كانت الأضواء الخافتة على الخشبة تتحرك ببطء كأنها تبحث عن ضحية.

ثم ثبتت على صفٍّ معين من المقاعد.

زوج وزوجة...

جلستا في المقاعد الأمامية. رجل في الخمسين، وجهه متعب، يداه خشنتان.

قضى عمره يعمل بلا توقف. بنى بيتًا، اشترى سيارة، رباها كابنته.

وهي... كانت تبتسم له دومًا، حتى ذلك اليوم.

همس الشيطان دون صورة، صوت فقط، بل كأن الفكرة طُبعت في عقل الزوج:

"أتتذكر يوم تعطلت سيارتك التي كانت تقودها هي في المطر؟

مرّ شاب صغير، أصلحها بذكاء، أعطاها منديله لتجفف عينيها...

فشعرت نحوه بشيء لم تشعر به نحوك طيلة 20 عامًا.

لماذا؟

لأنه أنقذها لحظة...

وأنت كنت المنقذ طيلة العمر... فنسيتك."

الرجل تجمّد.

بدأ يتنفس بسرعة.

نظر إلى زوجته.

تبتسم... لا، لم تكن تبتسم له. كانت تتذكر تلك اللحظة.

"ابتسمت له كما تبتسمين الآن؟" قال بصوت مرتجف.

قالت باستغراب:

ـ عزيزي... ما بك؟ هل أنت بخير؟

رفع يده ببطء، التقط شيئًا من تحت معطفه...

سكينًا كانت مخبأة منذ وصوله المسرح، "تحسّبًا للفوضى".

"هل أحببته؟!"

صرخ.

ـ ماذا؟ من؟!

"ذاك الشاب... أصلح السيارة... هل فكرتِ به لاحقًا؟"

ـ لا... بالطبع لا.

"كاذبة..."

ثم بصوت الشيطان المتسلل إلى عقله:

"هي لم تعد لك.

إنما كانت تحيا بجانبك، لا معك."

وفي لحظة، خيّم صمت كثيف على المسرح...

ثم اخترقه صوت طعنة.

الدم سال على المقاعد الحمراء.

والجمهور... تجمّد تمامًا. لا أحد يصرخ.

كأن الواقع تم كسره.

رفع الرجل رأسه، وقال بصوتٍ رخيم كمن استراح:

ـ على الأقل... لن تبتسمي له الآن.

ثم جلس، وترك السكين في حجره.

في أعلى المسرح، ظهر الشيطان ، ثم ضحك الشيطان.

ضحكة ناعمة، غير مبتهجة، بل كمن رأى شيئًا متوقعًا فقط.

ثم قال:

"قالوا إن المرأة تُحب من يُهديها الحياة...

لكنهم نسوا أن ما يُرمم لحظة... يُفسد ما بُني في عمر.

الآن... فلنمر إلى المشهد التالي."

[مشهد: الفتاة التي قتلت صديقتها]

في زاوية المسرح، أضاءت دائرة ضوء خافتة على فتاتين في عمر الزهور، تمسكان أيديهما.

واحدة بشعر ذهبي مبتسم و بشرة رقيقة بيضاء ، والأخرى بشعر داكن، و سمرة محترقة .

صوت الشيطان يخترق الصمت:

"حين تتشابك القلوب... يذبل أحدها كي يزدهر الآخر.

وعندما تزدهر فتاة بجمال يفوقك، فإنك لا تكرهينها... بل تتمنين أن تزول.

وهذه ليست خطيئة... إنها غريزة."

الفتاة ذات الشعر الداكن أخرجت من حقيبتها شيئًا لامعًا... مشطًا صغيرًا، حادّ الحواف.

همست صديقتها:

ـ إنه جميل! أهو لي؟

ـ نعم... لك.

مدت يدها، وقبل أن تلامس الهدية، كان طرف المشط قد غاص في عنقها.

شهقة.

ثم دموع، ثم دم.

الفتاة القاتلة لم تبكِ.

بل قالت، مقلدة نبرة الشيطان:

"ليس المهم أن يحبك الناس... بل أن يخافوك."

ثم اختفت الأضواء عن المشهد، وبقي الصدى.

[مشهد: الشاب الذي قتل نفسه]

شاب وسيم، في مقتبل العمر، ينهض من مقعده، يواجه الجمهور، يخلع سترته ببطء، كأنما يتعرّى من ذاته.

قال بصوت مهزوم:

ـ "كنت أظن أنني شخص مهم. كنت أكتب، أُحب، أساعد.

لكنكم لم تروني."

من الظلال، صعد صوت الشيطان:

"إن الإنسان لا يكره أحدًا مثلما يكره من يتجاهله.

اللامبالاة أقسى من القتل... لأن من يُقتل يُذكر، ومن يُنسى يموت مرتين."

بعد كلمات الشيطان ، أخرج من جيبه رسالة، رماها.

ثم رفع مسدسًا صغيرًا.

وابتسم، في وجه مليارات المتفرجين.

ـ الآن، ستذكرونني.

وانطلق الرصاص.

صرخة واحدة من الجمهور، ثم صمت طويل.

الشيطان ينظر إلى الأعلى، يقول بسخرية:

"الحب لا ينتصر دائمًا.

أحيانًا، أكثر ما يحتاجه الفرد... أن ينهي ذاته."

تحرك بعدها نحو الرسالة .

انحنى الشيطان، التقط الرسالة من الأرض كأنها شيء أثمن مما يوحي به الورق. كانت مطوية بعناية، ومرسومًا على غلافها حرف واحد: "ل".

لا نعرف لمن، ولا يهم.

فتحها ببطء، وصوته الغائر يتردد في القاعة:

"إلى من يهمه الأمر...

ولو أنه لا يهم أحدا...

لم أطلب الكثير.

فقط نظرة. لمسة.

أن يسألني أحدهم إن كنت بخير، دون أن تكون مجاملة.

كنت أكتب وأبتسم وأمزح، فقط لأُبقي العالم مشغولًا عن موتي اليومي.

كنت أرجو أن يلاحظني أحدهم...

لكني اختفيت رغم كل هذا الضوء.

لا تبكوا عليّ إن بكيتم، ولا تذكروني إن نسيتم.

فقط افهموا: أن الجحيم ليس نارًا...

الجحيم هو أن تكون موجودًا، ولا يشعر بك أحد."

سكت الشيطان لحظة، ثم طوى الورقة، ووضعها في جيبه.

قال بصوت منخفض لا يسمعه إلا من يختنق بصمته:

ـ "هذا الفتى لم ينتحر... أنتم قتلتموه بصمتكم."

ثم التفت إلى الجمهور فجأة:

ـ "ما أقسى أن يكون الإنسان مرئيًا للجميع، ومعدومًا في القلوب."

ثم غادر الخشبة مؤقتًا، تاركًا المسرح غارقًا في صدى الطلقة، وصدأ الصمت.

الفصل الثالث:

"أغنية المطر... أو حين غنّت الأرواح قبل الذبح"

فجأة، سادت المسرح لحظةٌ من النشوة.

دارت الإضاءة فوق الرؤوس، وتناثر في الجوّ صوت عذب... لم يكن صوت الشيطان هذه المرة، بل فتاة.

فتاة ترتدي الأبيض.

وجهها ناعم كملاك، وعيناها رماديتان تُشعّان بالدفء.

كانت تغني:

"إنه المطر...

يسقط علينا،

يغسل ذنوبنا،

ينسينا الغبار،

فتعال... لنولد من جديد."

هتف الجمهور، صفقوا، بكى بعضهم.

كان النشاز، لأول مرة، غائبًا.

ظهر الشيطان في الزاوية، صامتًا.

ثم قال، بصوت هادئ على غير عادته:

ـ هل هذه طريقتكم في الخلاص؟

غناء ومطر؟

حسنًا... لنجعلها تمطر.

رفع يده إلى السماء.

وتحوّلت قطرات المطر فوق المسرح إلى قطرات دم.

الفتاة المغنّية توقفت.

كانت تنزف من عينيها أيضا .

"أجمل الأصوات، هي تلك التي تُنحر بعد انتهائها."

ركض إليها فتى كان من الجمهور، احتضنها، صرخ، بكى.

ثم رفع رأسه إلى الشيطان:

ـ ماذا تريد؟ لقد غنت! لقد أعطتنا الأمل!

ـ "الأمل؟"

ضحك الشيطان، ثم اقترب:

"الأمل يُمنح للضعفاء، كي يتأخر موتهم."

ثم خاطب الجميع:

"لقد أحبّت هذا الشاب لأنه أنقذها من حفرة في الطريق.

لكنها في الأساس حية لأن زوجها، من أحبّها قبله هو من أنقذها ."

صمت. ثم قال:

"المرأة لا تحب منقذها إلى الأبد ... بل هي دائما مستعدة لتحب منقذا جديدا .

ولهذا أنتنّ، يا بنات حواء، خائنات بالفطرة."

انفجر الشاب، ركض نحو الفتاة، قبلها، ثم قال:

ـ هل هذا صحيح؟ هل كنتِ ستتركيني بعد هذا العرض؟ هل لم تحبيني قط؟

أجابت الفتاة، بدموع مختلطة بالدم:

ـ أنا... لا أعرف.

طعنة.

طعنة من قلب عاشق إلى قلب مغنّية.

الموسيقى لم تتوقف... بل تحولت إلى مقطوعة حزينة، تُعزف على أوتار النزيف.

الفصل الرابع:

قانون الغاب... وخرافة الطيبة.

صمت...

ثم صوت خطوات.

الشيطان عاد إلى مركز الخشبة، والضوء يُسلّط على وجهه فقط.

قال، بصوت بارد كحدِّ سكين:

"الآن... حان وقت الحقيقة.

هل تعرفون قانون الطبيعة؟

إنه ليس السلام، ولا الحب، ولا العدالة... بل البقاء للأقوى."

دارت الأضواء حول الجمهور، وكأنها تبحث عن فريسة.

قال الشيطان:

"من علّمكم أن الطيبة فضيلة؟

مَن قال إنّ الرحمة قوّة؟

داروين لم يقل ذلك، ولم يقله هوبز...

الطيبون... ليسوا إلا عجزة، أو أطفال... لم يكتمل نموهم بعد،

فلا أحد يملك عقلا ، يمكن أن يكون طيبا في هذا العالم ."

ثم أخرج الكتاب الأسود ، وفتحه على صفحة مجهولة :

"الحيوانات لا تبتسم.

الوحوش لا تعتذر.

القانون واحد: إمّا أن تَفترس... أو تُفترَس."

ضحك، ثم قال:

"مَن منكم ما زال يعتقد أن الطيبة قوّة؟

دعوني أُخبركم شيئًا.

الطيب... هو ذاك الذي لم تُعرض عليه الفرصة بعد.

ذاك الذي لم يُختبر.

الطيب... هو خائف، أو أحمق، أو ميت روحيًا."

ارتفعت همهمات خافتة في الجمهور.

بعضهم بدأ ينهار.

تابع الشيطان، وهو يفتح ذراعيه:

"كل ما يُزرع في عقولكم منذ الطفولة: كذبة.

المدرسة، الخير ، الحب، الأم... كلها أدوات لترويضكم.

إنني أرى كل ما لا ترونه:

إنسانًا يشكر قاتله لأنه لم يذبحه ببطء.

زوجة تبكي على زوجها... وقد خانته في أحلامها ألف مرة.

أماً تحتضن طفلها... وتتمنى داخليًا لو أنها لم تنجبه."

سكت للحظة.

ثم صرخ:

"أيها الأغبياء... هل الطيبة عقل؟ لا!

إنّها العمى بعينه.

أن تكون طيبًا في عالمٍ كهذا...

يعني أنك لست طيبًا، بل ضعيفًا... أو أنك لم تجرب الجوع، الإهانة، الخيانة، الاغتصاب، أو الحرب.

وحده من مرّ بالجحيم... وخرج شيطانًا،

هو من فهم اللعبة."

الفصل الخامس:

نظرية القطيع

ساد المسرح صمتٌ ثقيل.

عيون العالم تحدّق في ذاك الشاب... ذاك الشيطان.

وقف على الحافة، نظر إلى الجماهير، وابتسم ابتسامة مجرّدة من كل شعور بشري.

قال:

"أتعلمون ما هو أكثر ما أدهشني فيكم؟

أنكم أتيتم من كل فجّ عميق، لتشاهدوا مسرحية...

كان نصّها منشورًا في كل مكان."

صمت.

انحبست أنفاس الملايين، بل المليارات .

تابع، ببطء قاتل:

"لقد نشرنا النص قبل عامٍ كامل.

كان على الأرصفة، في المقاهي، في الكتب القديمة، بل وحتى في المراحيض العامة...

كتبناه بلونٍ أحمرٍ ساطع.

لكن أكرر ، من منكم يقرأ؟

لا أحد.

أنتم تقرؤون العناوين فقط... والوجوه فقط...

وتتبعون الضوء... مهما كان مزيفًا."

مرّر يده في الهواء وكأنّه يزيح قناعًا شفافًا، وقال:

"أنتم قطيع."

انطلقت شاشات ضخمة خلفه، تعرض مشاهد من شوارع العالم:

أناس يركضون خلف موضة.

سياسيون يلوّحون بأكاذيب.

مشاهير يبيعون الجهل، ويشترون التصفيق.

أمّ تبيع كليتها لتشتري فستانًا لابنتها.

طفل يقلد مقطعًا سخيفًا على الإنترنت... ويسقط من شرفة.

"هذه ليست مبالغات...

هذه أنتم."

كان الصمتُ قد بدأ يلتهم أطراف المسرح كما تلتهم النارُ الهشيم، حين تقدَّم الشيطانُ بخطى ثابتة وسط الركح، وأدار رأسه ببطء نحو الجمهور، وكأن نظراته تخترق العظام وتُسقط الأقنعة. قال بصوت أجوف :

"لقد آن الأوان أن نفكك المسرح ذاته، لا العرض فقط."

الركح مظلم، تسطع بقعة ضوء وحيدة على الشيطان و هو يقف وسط الخشبة، يرتدي معطفه الأسود الطويل، ينظر إلى الجمهور مباشرة. خلفه لا توجد ديكورات، لا خلفية، لا مؤثرات... فقط فراغٌ كأن المسرح مهجور منذ ألف عام. صوته يخرج بهدوء أولًا، كأنما يسرد نبوءة:

"المسرح الذي ترونه أمامكم ليس خشبة، بل مجاز. أنتم لستم متفرجين بل ممثلون. لم تأتوا لتشاهدوا العرض، بل لتُكملوه. كراسيكم ليست مقاعد، بل أقفاص ذهنية. وأدواركم كُتبت منذ زمن بعيد، وما اعتقادكم بالحرية إلا سطر ارتجالي في سيناريو قذر.

إن الجمهور اليوم لا يضحك لأنه فهم، بل لأنه تدرب على التهريج. لا يصفق لأنه اندهش، بل لأنه يخاف أن يظهر خارج الصف. أنتم لا تعيشون... أنتم تمثلون، والويل لكل من قرر أن يكسر الإيقاع.

في هذه المسرحية، الدم حقيقي، لكن التصفيق مزيف. كل من جلس صامتًا صار جزءًا من الجريمة. أتعرف ما المشكلة؟ أنكم حين تخرجون من هنا، ستقولون "عرض رائع"، ثم تمضون كأن شيئًا لم يكن.

لا أحد منكم سيجرؤ على إعادة النظر في نفسه. ستحكون عن الإخراج، عن الموسيقى، عن الإضاءة... لكن لن تجرؤوا على الاعتراف بأنكم رأيتم أنفسكم عراة.

ولهذا سأُطفئ الضوء ، و لهذا أيضا لن يغادر أحد ... وسأنتظر. لأن لحظة الظلام هي وحدها التي تُظهر مَن كان يُمثّل، ومن كان يفضح."

في اللحظة التالية، تُطفأ جميع الأضواء فجأة. يسود صمت كثيف. تومض شاشة صغيرة في خلفية المسرح، يظهر عليها مشهد لقاعة مسرح مهجورة، مليئة بالغبار، الكراسي مقلوبة، والستائر ممزقة. ثم يُضاء المسرح مجددًا بنفس البقعة الوحيدة. الشيطان لا يزال واقفًا في مكانه.

صوته هذه المرة أكثر قسوة:

"المسرح؟! هذا الهيكل الخشبي الذي تسكبون فيه دماء وقتكم، وعَرَق أموالكم، وركام عقولكم... المسرح الذي تغلّفونه بمساحيق التجميل وتسقطون عليه أوهام التقديس والتغيير والتنوير. أيها الحمقى! المسرح ليس معبدًا للحقيقة، بل مقصلةً للمنطق، مسرحُكم ليس وسيلة وعي، بل خدعة جماعية بمقابل مادي."

ينزل عن الخشبة، يقف عند أول صف، يحدق في الجمهور كأنه يراهم للمرة الأولى، ثم يرفع يده ويشير:

"كم منكم جاء كي 'يفكر'؟ لا أحد. جئتم لتنبهروا، لتصفقوا، لترددوا ما كُتب لكم منذ قرون. أنتم لا تحضرون المسرح لتخرجوا بفكر جديد، بل لتُعيدوا تثبيت ما تعرفونه سلفًا!"

يعود أدراجه إلى منتصف الركح، عيناه تشتعلان بنار الاتهام، ثم يصرخ فجأة:

"المسرح الحقيقي انتهى منذ أن بدأ يُسوّق كمنتج، منذ أن أصبح يُروَّج له في الإعلانات وبين خصومات المتاجر! المسرح لم يَعُد فنًّا، بل واجهة لغسيل الأفكار، لتزييف النقد، ولتعليب التمرد."

يتوقف، يبصق على الأرض. يتردد صدى البصقة في القاعة المغلقة، كأنه طعنة. الجمهور يختنق في صمته. ثم بصوتٍ بارد:

"كان يُفترض أن يكون المسرح بابًا إلى الحقيقة، لكنه تحوَّل إلى ستار يُخفي أكاذيب الواقع. وها أنتم أمامي... تصدّقون ما يُعرض، بينما تنامون عن النص الحقيقي."

ببطءٍ مهيب، يمد يده إلى جيبه، ويُخرج الكتاب الأسود. يرفعه عاليًا كأنما يحمل وصية سُحقَت بالقرون:

"النص الكامل للمسرحية كان هنا، متاحًا لكم، في كل مكتبة، على كل هاتف... فلماذا جئتم؟ لماذا دفعتم؟ لأن الحقيقة المجانية لا تُغريكم، بل الوهم المدفوع."

ضحكة خافتة، بلا بهجة، تشق الظلمة:

"هل أخبركم سرًّا؟ المسرح كما تعرفونه انتهى. ما تبقى منه دُمى تتحرك، تُضحككم، وتبكيكم، وفق ما يُملى عليها. أما هذه الليلة... فأنتم المسرح، أنتم العرض."

تتسلط بقعة الضوء عليه وحده من جديد، كأن الكون كله يراقب كيانا واحدًا يعري البشرية.

"أنتم قطيع. تتبعون الضوء حتى لو قادكم إلى الذبح. تتبعون الصوت، حتى لو قال لكم: ارموا أبناءكم في البحر."

مشى مختفيا بعيدا ، صوته يصعد عميقا من الظلال، صوت الشيطان ذاته، بلا وجه ولا جسد، فقط حضور خانق في الهواء:

"البشر لا يقرأون، لا يشكّون، لا يعقلون. كل من حضر إلى هذا العرض، حضر لا لأنه أراد أن يعرف، بل لأنه لا يريد أن يتخلّف عن الباقين. أنتم لم تأتوا لأن المسرحية عظيمة، بل لأن الكل قال إنها كذلك."

ضحكة أخرى، أكثر خبثًا، تقطع الصمت كالسوط:

"هذا هو قطيعكم. ضوء، إعلان، موضة، وتركضون! من قال إن المسرح يعلم؟ المسرح يُغرق في الجهل إذا أُديرَ بأيدي الجهلاء."

إضاءة خافتة تنسحب تدريجيًا حتى لا يبقى شيء... سوى ظلام كثيف.

ثم يقتبس من مكيافيلي:

"'الناس ينسون موت آبائهم قبل أن ينسوا فقدان ممتلكاتهم'... وها أنتم هنا، نسيتم المبادئ، فقط كي تحصلوا على تذكرة حضور."

في النهاية، ينظر إلى السقف ويهمس:

"أعلن أنكم لا تستحقون الخلاص."

ثم يدخل الركح في عتمة عميقة تمهيدًا للفوضى القادمة.

الفصل السادس:

"السلطة والحقيقة "

رفع الكتاب الأسود مجددًا.

فتحه عند جملة وحيدة:

"الغاية تبرر الوسيلة."

نيكولو مكيافيلي

هديرٌ في الخلف. صراخ.

بعض النساء يبكين.

رجل ينهار.

طفل يصرخ .

فقال الشيطان، دون أن يرمش:

"أنتم تستحقّون الألم، لأنكم لم تفكروا لحظة.

لم تتساءلوا... لم تتوقّفوا.

أعطيتم أموالكم، وقتكم، أرواحكم...

فقط لأن الإعلان كان جذّابًا."

رفع إصبعه، وأشار نحو الجمهور.

"أحكم عليكم... بعدم الاستحقاق.

لا للحب. لا للسلام. لا للنجاة.

أنتم من باع الحقيقة ليشتري مقعدًا في الصف الأول من الوهم."

ثم ضحك.

وقف الشيطان وسط الركام النفسيّ الذي خلفه.

ثم قال بهدوء بارد:

"الحقيقة... ليست نورًا. إنها خنجر."

سكت قليلًا. حدّق في وجوه الناس.

ثم قال:

"السلطة لا تحتاج الحقيقة.

بل تحتاج الخوف."

سلّطت كشافات المسرح ضوءًا على رجل بدين في المقعد الأول، كان يرتدي شارة مسؤول رفيع.

قال الشيطان:

"ذاك، لم يقل الحقيقة في حياته.

لكنه حَكم الآلاف.

لأنه كان يجيد صناعة الخوف."

سلّط الضوء على امرأة ترتجف في الزاوية.

"وهذه... كانت تقول الحقيقة دومًا.

طردوها. أهانوها. قالوا: مجنونة.

لأن الحقيقة لا تُشترى ولا تُباع...

لا تنفع في السوق."

مشَى على الخشبة ببطء، وواصل:

"هل تعرفون لماذا يُسجن الصادق، ويُكرَّم المنافق؟

لأن الحقيقة تُحرّر...

والسلطة تكره الحرية."

رفع الكتاب الأسود وقد كتب عليه "المبادئ".

قال:

"المبادئ؟

إنها أكاذيب مجمّدة.

لا أحد يحكم العالم بمبادئ.

بل بالمؤامرة، وبالشك، وبالسلاح."

ثم اقترب من أحد الأطفال في الصف الأمامي، ركع أمامه، وسأله:

"هل تعرف يا صغيري من يملك السلطة في هذا العالم؟"

قال الطفل، مرتجفًا:

"الملوك؟ الحكّام؟ الرؤساء؟"

ضحك الشيطان.

"لا يا صغيري.

من يملك القدرة على جعل الناس يصدقون الكذبة...

هو من يحكم العالم."

ثم صرخ بصوت مدوٍّ:

"لهذا، أنا الشيطان.

لأنني أقول الحقيقة...

ولا أحد يصدقني."

ساد الصمت.

وبدأ الجمهور يختنق بكلماته.

بعضهم بدأ ينهار.

بعضهم يتّهم نفسه.

والبعض... يغادر بعقله المسرح إلى الجنون.

في صمتٍ قاتل، وبنظرة باردة، أوقف الشيطان خطواته، كما لو كان يراقب كل الأنفاس في الهواء. وقف على حافة الخشبة، وكأن ظلاله تلتف حوله، فقال:

"هل تعرفون ما هي أكبر كذبة في هذا العالم؟

إنه الحب... نعم، الحب. أكذوبة."

ألقى نظرة ثاقبة على الحضور، ثم استمر:

"أنتم تعيشون في عالمٍ من الأكاذيب العاطفية. تظنون أن الحب هو الذي يُبقيكم أحياء، ولكن الحقيقة عكس ذلك تمامًا. إنكم أبطال مسرحية، ولكنكم لستم أبطال الحب. أنتم ضحايا أكبر خدعة في الوجود."

وقف على رأس المسرح، وجهه مشوّهًا بالشر:

"النساء... نعم، النساء. أنتن من صنع الجحيم. أنتن من جعلتن العالم مكانًا مليئًا بالألم.

أنتن تتقنّ الكذب والتمثيل أكثر من أي أحد.

تتقنّ البكاء الكاذب، وتغتلنّ الأرواح بابتسامات زائفة."

توقّف قليلاً، ثم قال:

"لماذا تبكون يا بنات حواء؟ من السبب في بؤسكم؟ أنتن، أنتن من قرّرتن الخداع، من اختلقتن الأوهام. أنتن من جعلتنَّ أنفسكنَّ ضعيفات، لتلعبن دور الضحايا."

صوته صار أعلى وأكثر حدة، وقال:

"أنتم، البشر، لا تملكون شيئًا إلا أكاذيبكم، لا شيء سوى تلاعبكم بالمشاعر. الحب؟ مجرد وسيلة لتدمير الجميع.

أنتم تبيعون الحب كما تبيع المتاجر البضاعة في الأسواق. وهكذا يصبح الحب لعبة، والفوز فيها هو سراب."

وتابع:

"النساء كذبن ، وقد أفلحن في ذلك. والرجال؟ يا لهم من أغبياء! يظنون أنهن أفضل منهم. أنهن أبرع في التمثيل، في تزيين الأكاذيب على وجوههن. لا يملك الرجل قلبًا بريئًا، قلبه مليء بالألم والعذاب من جراء اختياراته السيئة."

كان الجمهور يرتجف. ومع كل كلمة يزداد الضيق في الصدور.

وواصل الشيطان حديثه عن العلاقة التي تدمر كل شيء، من الخيانة إلى النفاق العاطفي، مقارنًا الوعود التي قطعها البشر على أنفسهم، ليثبت لهم أنهم لم يحققوا شيئًا سوى إغراق أنفسهم في المستنقعات التي حفروها.

"التجربة الإنسانية؟! مجرد خيانة مستمرة. أنتم جميعًا خائنون. تتناوبون على الكذب على أنفسكم ، لتكونوا صادقين، لا يمكن لأحد أن يكون طيبًا في هذا العالم. لا أحد. لأنكم جميعًا خائفون. الخوف هو الذي يدير حياتكم، ويظل الحبّ بمثابة الشلل الذي يعيق رؤيتكم.

أجاب بصوت مليء بالسخرية:

"هذا هو الحب في عالمكم. لا يسعني إلا أن أضحك على حماقتكم."

ثم يتوقف، وينظر إلى الجمهور بعينين تتقدان بالسخرية، ويتابع:

- "الحب... آه، تلك المشكلة العويصة.

مشكلتي معه كانت دائمًا أنه يفرض الاكتفاء بامرأة واحدة...

بينما أنا، يا سادة، يمكنني امتلاك كل النساء."

الفصل السابع:

إشعال الفوضى

تحت سطوة الكلمات الثقيلة التي ألقيت ، بدأ التوتر يسود الأجواء، وكان الشيطان على وشك إشعال أول شرارة من فوضى عقلية حقيقية.

فعلى المسرح، بدأت تظهر علامات الانهيار... تدمير ما تبقى من آمال.

"أول من ينهار؟ كل من يعتقد أنه مازال إنسانًا. كل من تعوّد على التسامح والطيبة."

فجأة، انفجر المشهد. رجل، مضطرب، ينفجر في المكان.

نهض من مكانه وركض نحو زوجته، المذهولة، فقتلها بسكين حاد.

جمهور المسرح يسقطون في حالة من الذهول والهلع.

"أنتم من صنعتم هذا الخراب بأنفسكم. أنتم من اختلقتم الأكاذيب. تقتلون أنفسكم، تقتلون أحباءكم، لأنكم أضاعتم البوصلة. أضعتم أنفسكم في بحر الأكاذيب."

ثم سكب الضوء على امرأة مسنّة. كانت تبكي على جثة ابنها، فقد تم قتله في سبيل هذا العرض.

"أنتم، جميعًا، تفعلون ذلك. لا أحد منكم بريء. لا أقتل أحدًا هنا، لكنني سأعلمكم كيف تقتلون بعضكم البعض."

في اللحظة التي بدأ فيها الشيطان بالكشف عن قسوته، كان هناك من بين الحضور من فقد الأمل. كانت أعينهم تتنقل بين الحطام الذي حولهم، ثم تنعكس فيهم لمحة من شيء آخر، شيء قديم، وهمس ضائع. الحب، الذي لطالما اعتقدوا أنه سبب حياتهم، أصبح الآن سرابًا. تاهوا في ذلك الشعور بأن كل ما اعتقدوا أنهم يعرفونه عن البشر كان مجرد أكاذيب.

إسقاط مشهد مروع للعقل، حيث يبدأ انهيار الجميع، فالكلمات التي كان يلقيها الشيطان تتحول إلى طلقات نارية في عقولهم.

كانت الأجواء ثقيلة ، كما لو أن الهواء نفسه قد تحوّل إلى سُمٍّ ، شعور غامض بأنهم أصبحوا أسرى لمسرحية لا مفرّ منها.

الشيطان، الذي عاد إلى قلب المسرح، ألقى نظرة شاملة على الجمهور، ثم بدأ حديثه بنبرة تهكُّمية، ولكنها كانت مليئة بالتهديد:

"لنأخذ خطوة واحدة أخرى نحو الحقيقة... نحو الفوضى التي يختبئ وراءها كل واحد منكم. جميعكم تعيشون في عالم مليء بالكذب، لكن الآن سأكشف لكم القبح الذي تحاولون إخفاءه."

تسارعت أنفاس بعض الحضور،

"أوقف الشيطان حديثه للحظة، كأنما يراقب الوجوه المبللة بالدموع. كان بعض الناجين منهم من هز رأسه، في عيونهم ذل غير معلن. لم تكن الدماء التي غطت الأرض سوى شهادة على ماضيهم. لكن على الرغم من كل ما مروا به، كان هناك شيء آخر، شيء أعمق، بدأوا في التراجع عن فكرة الهروب، هل كانوا يشعرون بوجود شيء أكبر من أنفسهم، شيء يقاوم في أعماقهم؟ إنهم لم يكونوا مجرد ضحايا الفوضى، بل كانوا جزءًا منها، في صراع مستمر مع المجهول الذي يهددهم".

كانت ضربات قلوبهم تنبض بقلق متزايد. كانت عقولهم مثقلة، إذ يواجهون شيئًا لا يمكنهم تفسيره. بدأت الأصوات تتداخل؛ همسات، حركات متوترة، لكن الشيطان لم يلتفت.

ثم قال بصوت منخفض، لكن مصحوب بقوة حادة، تغلغلت في عظام كل من استمع له:

" من يظن أنه لا يزال يحتفظ بعقله وسط هذه الحقيقة. أنتم، جميعكم، عقولكم مجرّد قطعٍ خشبية في هذه المسرحية."

هنا، انقضّت اللحظة بشكل مفاجئ.

مشهد الانهيار الأول:

رجل في منتصف العمر، عينيه زائغة، بدأ ينهض من مكانه. كان يلتفت بسرعة إلى الحضور، وعيناه تتسعان من حالة جنونٍ داخلي، لكن كانت هناك إرادة غريبة تدفعه. على وجهه مزيجٌ من الألم والإصرار. اقترب من زوجته، التي كانت تجلس بجانبه، وقد بدت هي الأخرى مضطربة، متوترة، ملامح وجهها ترتجف.

الشيطان أشار بنظرة سريعة إلى الزوجين، ثم تابع:

"هؤلاء، الذين يظنون أن الحب قادر على إنقاذهم.. ألا ترون كيف تدور الحياة حولكم، كيف أنكم غارقون في دوامة لن تخرجوا منها؟"

الرجل لم يرد، فقط ارتفعت يده إلى جيبه، سحب سكينًا حادًا، ثم انقضّ على زوجته. لا صرخات، لا كلمات، فقط سكينٌ يختفي في جسدها. لم يكن أحد يتوقع أن يسير العرض في هذا الاتجاه، لكن الآن كان كل شيء في حالة تفجّر لا يمكن إيقافه.

"أنتم تعرفون الحقيقة الآن. لا أحتاج إلى القتل. أنتم من تقتلون بعضكم البعض، بأيديكم، بحماقاتكم. القتل ليس مجرد فعل جسدي، إنه موت الروح الذي سكن فيكم منذ البداية."

ينما كانت كلماته تتناثر كالسهم في أذهانهم، انفجر أحد الحاضرين بالبكاء، كان غير قادر على تفسير ما يحدث حوله. كان البكاء ليس بسبب الألم الجسدي، بل لأن روحه كانت تتداعى تحت وطأة الحقيقة المرة. كان يصرخ: 'لماذا؟ لماذا خذلنا بعضنا البعض؟' كان قلبه الممزق يتساءل إن كان الحب حقًا كذبًا،و أن البشر كانوا عاجزين عن الحب الحقيقي منذ البداية".

الزوجة، التي كانت تمسك قلبها قبل أن تسقط ميتة ، لم تجرؤ على توجيه أي كلمة. كانت قد أدركت من خلال عينيه أنه ليس هو الذي يقتلها، بل كان الأمر قد بدأ في أعماق روحه مع مرور الوقت، مع كل خيانة، مع كل كذبة.

مشهد الانهيار الثاني:

وبينما كانت العيون كلها موجهة نحو الرجل الذي قتل زوجته، شخص آخر من الجمهور فجر انفجارًا من العنف النفسي.

امرأة مسنّة، كانت تحمل صورة لابنها على هاتفها، وفي لحظةٍ غريبة، بدأت تبكي بحرقة، كل دمعة منها كانت تسقط كأنها دماء جديدة. سقط الهاتف من يدها، وانفجرت في بكاء غير متوقف.

"ابني... ابني... لقد فقدته. كان الوحيد الذي بقي لي، لكنه ليس هنا... ليس هنا!"

صوتها مليء باليأس. كان هناك شيء غريب في صوتها، شعورٌ بالألم العميق لم يكن يتوقّعه أحد. حتى الشيطان، الذي كان يبتسم ابتسامة ساخرة، توقف لوهلة قبل أن يتابع حديثه:

"هل تسمعونها؟ هذا الألم؟ هذا البكاء؟ أنتم جميعكم تعيشون في ذلك. الحياة ليست سوى سلسلة من الهزائم. أنتم تموتون، لكنكم لا تدركون."

ولكن فجأة، وبدون أي تحذير، سقطت العجوز جثة تحت قدم أحدهم ، ففي لحظة جنونية طعنها الرجل الذي كان قريبا بمفتاح سيارته الفاخرة لأنه لم يحتمل صراخها .

بعد هذا النهيار الواضح ، اقترب الشيطان من حافة المسرح وقال:

"أعلم أنكم الآن في حيرة. تتساءلون لماذا؟ ، أتعلمون، أنتم مجرد فئران في هذه العجلة الكبيرة. تظنون أنكم أحرار. نعم، أنتم أحرار، ولكنكم أحرار في أن تموتوا."

نظر إلى الجمهور، وجعل صوته يتردد في جميع أنحاء القاعة:

"أنتم من صنعتم هذا العالم، أنتم من خلقتم الفوضى. لا أحد فيكم بريء. لا أحد."

تلا الجميع نصه في حالة من الفوضى، الجميع في حالة من الارتباك الداخلي العميق.

الفصل الثامن:

فاصل القبر

كان الصمت ثقيلًا، قاتلًا، كما لو أن كل صوت كان مخنوقًا في الحناجر. المسرح تحول إلى مكان آخر تمامًا، مكانٍ مظلم، حيث كانت الأنفاس تُعدّ ببطء، والعيون تتسابق للنظر إلى ما يحدث على الخشبة.

الشيطان، الذي كان قد ألقى بكل أسلحته الفكرية على الجمهور، وقف الآن بلا حراك. كانت حركته كأنها تلك التي تحدث في اللغات القديمة؛ هدوء يتخلله شيء من التهديد الموحش. جلس على الكرسي الذي كان قد أعده لنفسه، الذي بدا وكأنه عرش فخم في عالم من الخراب.

عندما جلس، لم يحرك ساكنًا. كانت العيون تراقب كل حركة، ولكن على الرغم من أن الجميع كان ينتظر، كانت لحظات الصمت وكأنها لا تنتهي، وكأن الزمن قد توقّف في هذا المكان.

كانت الأنفاس تتحشرج، والأرواح تتجمد في مكانها، والمسرحية كانت على وشك الانتقال إلى مستوى آخر، حيث تبدأ الأسئلة الحقيقية: ما الذي يحدث هنا؟ لماذا وصلنا إلى هذه النقطة؟

الشيطان نظر إلى الحضور، والابتسامة التي كانت تلوح على وجهه اختفت بشكل غريب. كان لا يزال هادئًا، لكن كان هناك شيء غريب ، شيء مريب، كأن كل شيء كان على وشك الانفجار، الانفجار من جديد .

ثم قال بنبرة هادئة ولكنها مخيفة:

"الآن، الفاصل. كل من نجا حتى الآن، سيتحول إلى قاتل بعد الاستراحة."

كلماته كانت قاسية، موجعة، كالسياط على ظهور الجميع. هذه الكلمات كانت أكثر من مجرد تهديد؛ كانت إشارة إلى التحول القادم، الذي لا مفر منه. كان الناس قد بدأوا يشعرون بأنهم دخلوا إلى عالم آخر، عالم لا فكاك منه. وكانوا يعلمون أنهم لن يستطيعوا الهروب مما هو قادم.

الصمت كان يحكم الحضور، كانوا جميعًا عاجزين عن الرد. كانت العقول مضطربة، وكان كل واحد منهم يسأل نفسه: هل هذا حقيقي؟ هل نحن في حلم؟ هل هذا هو العالم الذي نعيش فيه؟ هل نحن مجرد أدوات في يد هذا الكائن الذي يختبئ وراء كل كلمة وكل حركة؟

في هذه اللحظات، بدأ بعض الحضور في التفاعل بشكل غير منطقي، كانوا يتحدثون مع أنفسهم، يصرخون في صمتهم، يحاولون فهم ما يحدث، لكنهم كانوا عاجزين عن استيعاب كل هذا الخراب. كان هناك شعور بالاختناق يحيط بالجميع، شعور بالضياع التام.

في هذه اللحظات الحرجة، كان الشيطان يراقبهم عن كثب. كان يعلم أن كل لحظة من هذه اللحظات هي لحظة فاصلة، لحظة انتقالية بين الانهيار والدمار.

كان يعلم أن الفاصل هذا هو بمثابة فرصة لتهيئة الأذهان لما سيأتي، كي يتأمل الجميع في ما حدث، وما سيفعله.

قال وهو يبتسم ابتسامة شبه ساخرة:

"الفاصل فقط لكي تفكروا. نعم، لتشعروا بالراحة، لأنكم سترون أهوالًا جديدة. ولكن فكروا في هذه اللحظة. هل أنتم جاهزون لما هو قادم؟"

ثم أضاف بصوتٍ منخفض يختلط بالهواء المظلم:

"أنتم تعرفون الآن، أليس كذلك؟ هذا ليس مجرد مسرحية. هذا هو حكمكم. والحكم النهائي سيتنزل عليكم في النهاية. لا أحد ينجو."

لم يسبق لأحد أن شهد مثل هذا الفاصل من قبل. كان الصمت رفيقًا، لم يكن مجرد سكون خارجي، بل سكون داخلي، متوغل في عمق كل شخص داخل المسرح. كان الفاصل يشبه الصمت الذي يعقب الجريمة، الكل كان يعرف ما سيحدث بعد ذلك، ولكن لا أحد كان مستعدًا.

بدأ الجمهور يخرج عن صمته، بعضهم بدأ يصفق، ظنوا أن الشيطان قد أنهى عرضه الفكري المروع، ولكن هل كان ذلك هو الواقع؟ أم أن الصمت كان مجرد غطاء للآتي؟

"الشيء الوحيد الذي يمكن أن يدمر هذا العالم، هو فكرة أنكم جزء من لعبة أكبر منكم، وأنكم ضعفاء في مواجهة الجشع والشر."

كانت كل كلمة تأخذ طريقها إلى أعماق الجميع، وعقولهم تعيد تدوير الأفكار بشكل متسارع. هناك شيء ما في الجو، شيء ثقيل يجعلهم يشعرون أنهم عالقون في دائرة مغلقة. لم تكن هذه المسرحية مجرد عرض فني، بل كانت اختبارًا لهم. اختبار للروح الإنسانية، اختبار للمعنى. كانت هذه المسرحية هي بداية نهايتهم.

"الوزير، الذي لطالما اعتقد أنه لا يُقهر، شعر بأن قلبه يتوقف عن الخفقان. لم يكن الألم الذي يشعر به بسبب جراحه الجسدية، بل لأنه اكتشف أنه

كان جزءًا من نظامٍ أسوأ من العذاب ذاته. شعور العجز يعصره، وكل الكلمات التي كان يراها صائبة طوال حياته أصبحت ضبابًا في عقله. بدأ ينظر حوله، محاولًا إيجاد أي مبرر لقناعته القديمة، لكن بعيون فارغة الآن."

كان الجميع يترقب، في حالة من الرعب والعجز، يعلمون أن ما سيأتي بعد الفاصل سيكون مرعبًا بشكل لا يوصف.

الفصل التاسع:

النهاية الكبرى

بدأ الفصل مع تصاعد التوتر، بعد الفاصل الذي أعقب كلماته الأخيرة. كان الجميع يشعرون بأن ما سيأتي ليس مجرد جزء من المسرحية، بل هو تجسيد للواقع الذي يتربص بهم. المسرح كان الآن بمثابة معركة نفسية، الأشخاص الذين كانوا يجلسون في الخلف لم يعودوا من الأحياء، والأشخاص الذين كانوا يجلسون في الأماكن الأمامية، لم يعودوا يشعرون بشيء سوى فراغ قاتل في صدورهم.

عندما عاد الظلام إلى المسرح، كان من الواضح أن الأمور لن تكون كما كانت من قبل. الشيطان، الذي أطفأ الأنوار في قلب الجميع، بدأ يتحدث مرة أخرى، ولكن هذه المرة لم يكن يكتفي بالكلمات. كانت إشاراته إلى العالم الخارجي متسارعة، وكان الجميع يقاومون الخوف، لكنهم كانوا أيضًا مدفوعين بشعور غريب، شعور بأنهم قد صاروا جزءًا من هذا الكابوس.

"الآن، بدأنا"،

قال الشيطان بصوت عميق وحاد.

في اللحظة التي تكلم فيها، بدأ الصوت يختلف. الصوت الذي كان محصورًا في حنجرة واحدة، تحول ليصبح عاصفة. العيون التي كانت ترقب بشغف، الآن غُشي عليها برعب مطبق. كانوا جميعًا يائسين من الهروب، موقنين في قلوبهم أنهم حتى و إن حاولوا الهروب، فإنهم سيظلون عالقين في الداخل، في عوالمهم الخاصة من الألم. ولكن رغم هذا، كانت النهاية تقترب.

قال الشيطان بنبرة سافرة:

"أنتم الآن... تعرفون الحقيقة. الحقيقة التي لا يريدها أي مخلوق على هذه الأرض، لكنكم استحققتم هذا. استحققتم هذه النهاية."

وبينما كانت كلماته تطحن أذهان الحضور، كان الجميع يشعرون بتغيير يحدث. شيء ما كان قد انكسر في داخلهم، فبدأت بعض العقول الكبرى تنهار، والبعض الآخر يسقط في الجنون. كان الجميع يراقبون بعضهم البعض، وكأنهم أصبحوا أعداء لذاتهم. البعض بدأ في التحرك بتوتر، عيونهم تسارع في التبدل، من حيرة إلى جنون، ومن جنون إلى فقدان تام للوعي.

الشيطان يشهد انهيارهم

بينما كانوا يقاتلون أنفسهم، كانت الابتسامة القاسية للشيطان تعلو وجهه. كان يرصد بكل دقة انهيار أذهانهم، وكان يشعر بنشوة المراقب الذي يسيطر على كل شيء. كان المسرح الآن يشهد نوعًا آخر من الدمار، خراب فكري وعاطفي. لن يكون هناك جمهور بعد الآن، فقط خراب يملأ القلوب.

"فقط لحظات قليلة، وستدركون أنه لا يوجد فرق بين الحي والميت. أنتم الآن في عالم لا يعود فيه الموت هو الخلاص، بل الواقع ذاته هو التهديد الأكبر."

وبينما كان يقول هذه الكلمات، بدأ الحضور في الانهيار بشكل جماعي. كانت الصرخات تعلو من بين الجالسين، وكأنهم قد دخلوا في حالة من الجنون الجماعي. العقول التي كانت قد أرهقتها الأيام أصبحت الآن ضحايا للشيطان الذي جعلهم يفهمون، بشكل قاسي، أنه لا يوجد خلاص .

لقد أصبحت المسرحية الآن حفلة دماء، وركام بشري.
لا أحد كان يصدق ما يحدث، لكن كانت الحقيقة حاضرة: لقد أصبحوا جميعًا مجرد أدوات في يد كائن يدرك ضعفهم وافتقارهم للأمل.

ووسط هذا الانهيار، استمر الشيطان في الحكم عليهم، بل سعى إلى إيقاعهم في الفخ الذي نصبه لهم. وبينما كان الضجيج يملأ المكان، بدأ صوت الطفل الوحيد المتبقي في المسرح يتناثر في أرجاء المكان. هذا الطفل كان في حالة من الحيرة، في محاولة لفهم كل شيء. لكنه لم يستطع أن يوقف القتل النفسي الذي حل بالآخرين.

أخبره الشيطان باسما :

"لم أفعل شيئًا. أنتم من كتب النص."

كانت هذه هي الكلمة الأخيرة التي نطق بها الشيطان، وهو يرى الناس ينهارون، يقاتلون من أجل شيء لا يعرفونه. كانت المسرحية قد تحولت إلى انهيار كامل. ولم يكن الأمر مجرد مسرحية أخرى، بل كان هذا الواقع الذي لا مفر منه.

"نهاية الإنسان... هي بداية الفوضى."

الفصل العاشر:

من هذا القبر

في اللحظة التي اعتقد فيها الناجون أنهم قد فروا من الجحيم، اكتشفوا الحقيقة الأكثر رعبًا. كانوا على الخشبة طوال الوقت، لم يكتفوا بالمشاركة في العرض، بل كانوا جزءًا منه، يتنفسون، يتحركون، مثل دمى حقيقية. كل خطوة كانت مرتبطة بإرادة أخرى. بدأ الناجون في التراجع، يحاولون الهروب، لكنهم وجدوا أنفسهم في نهاية المطاف في المكان نفسه.

في لحظة من الارتباك، اكتشف الجميع أن كراسيهم، التي اعتقدوا أنها تمثل جمهور المسرحية، لم تكن سوى جزء من الديكور، مجرد أدوات خادعة. كان المشهد أمامهم أقسى مما يمكنهم تحمله. الجدران تحيط بهم، والأضواء تنطفئ فجأة، فقط ليعود الضوء ليظهر في الزوايا المظلمة، حيث يقف الشيطان وسط العتمة. كان يبدو أكثر قوة، أكثر قسوة، وكأنّه يترقبهم.

ثم نطق بصوته الهادئ الذي كان يحمل فيه ثقل الشر:

"الدمى أفضل منكم. هي لا تخدع نفسها. هي لا تدّعي أنها شيء أكثر مما هي عليه."

تساقطت الكلمات مثل الحمم، كل كلمة كانت تشعل قلوب الناجين. كانوا يحاولون الهروب، ولكنهم كانوا محاصرون. كانوا يُشاهدون عيون الدمى الجالسة في مقاعد المتفرجين الآن، تمامًا كما كانوا هم في البداية.

وفي لحظة غريبة، بدأ الشيطان يضحك، ضحكة كانت تشق الصمت في المكان:

"هل تظنون أنني شيطان؟! ربما، لكن البشر هم الشياطين الحقيقية. أنتم... أنتم من طردتم أنفسكم من الجنة. أنتم من كتبتم هذا النص، واكتشفتموه. أنا فقط جمعتكم معا و سردته على مسامعكم ."

ثم ببطء، تطوّر تعبير وجهه ليصبح أكثر شراً، وكأن القوة تتدفق من أعماقه.

"لكن الآن، حان الوقت لأكون شيطانًا حقيقيًا. أفضل من أيّ شيء أنتم عليه. فأنا لا أحتاج إلى أقنعة."

وفي اللحظة التي أكمل فيها كلماته، تحولت عيناه إلى لهب مشتعلة، وتحولت خصلات شعره الفاحم إلى قرون كبيرة، وأصبح جسده يشعّ بقوة غير بشرية. كان المشهد كما لو أن كائنًا آخر قد انبثق من قلب الظلام. وقد أدرك الجميع حينها أنهم كانوا يعاملون الشيطان بشفقة حين اعتقدوا أنه مجرد رمز.

وفي لحظة ما، انطفأ الضوء مجددًا، ليغرق الجميع في الظلام، وبدأت الدماء تتدفق من كل فتحة في أجسادهم. كانت دماؤهم تخرج كما لو أن الجروح في كل جزء من أجسادهم كانت تتفتح بشراسة. لم يكن هذا عقابًا نفسيًا بل كان مجرد انهيار جسدي.

وع ندما عاد الضوء، اكتشف الجميع أن عددهم قد تقلص بشكل غريب. لم يتبقّ من ملليارات الأشخاص الذين حضروا سوى أربعة آلاف شخص فقط، منهم الوزيران ومسؤولون آخرون كانوا في المقدمة. هؤلاء هم الأشخاص الذين كانوا يعتبرون أنفسهم سادة الأرض.

ومع تجدد السكون، كان الشيطان يقف أمامهم، عيناه ملتهبتان في الظلام، يترقب هؤلاء الذين كانوا يظنون أنفسهم فوق الآخرين.

"أنتم، أيها المسؤولون، الأثرياء، وأصحاب السلطة، ستكونون نواة عالمي الجديد ، ستعيشون في عذاب. ستهيمون في الأرض جوعًا وعطشًا. لن تأتي وساوسكم من الشياطين ، بل منكم ، ستتعطشون للمزيد من التسلط إلى النهاية و لن تجدوا الراحة أبدًا. وحين تشيخون ستكونون وحدكم، ستموتون دون أن يكون لكم أي معنى."

ثم أدار نظره إلى الأشلاء على الأرض و قال :

"أما أولئك الذين ماتوا... فقد نجوا من الحياة بأعجوبة."

مع هذه الكلمات، بدأ الشيطان في الانسحاب تدريجيًا، في الظلام الكثيف الذي ملأ المكان. اختفى كما لو أنه لم يوجد من الأساس، كان الخوف لا زال يملأ المكان، والدماء التي ملأت الأرض بقيت تحكي قصص العذاب.

في النهاية، بقي سادة الأرض في حالة من الهستيريا، عيونهم و قلوبهم مليئة بمشاعر كالخوف والدموع ، تماما كتلك التي طالما زرعوها على وجوه الآخرين .

تمت بحمد الله